مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ
ISSN: 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 20 عدد: 01 سبتمبر 2024
العنوان: المنهج التأويلي عند فيلهلم دلتاي ص.ص. 28- 47

المنهج التأويلي عند فيلهلم دلتاي

عياط فايزة[1]، كرد محمد[2]
1- جامعة مصطفى اسطمبولي (معسكر)
faiza.ayat@univ-mascara.dz
2- جامعة مصطفى اسطمبولي (معسكر)
mohammed.kerd@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال:2024/03/20 ؛ تاريخ القبول:2024/03/28

The hermeneutical approach ofWilhelm dilthey

A. Ayat, B. Kerd

Abstract: Dilthtey is considered the father of contemporary interpretation, as he renewed the general interpretation project and placed it on the horizon of history after he expressed his dissatisfaction with the scientific situation that the human sciences had reached at the hands of the empiricists in light of the fierce development witnessed by nature. sciences, emphasizing that hermeneutics is the only salvation for these sciences and an adequate approach to their subject. This was the principle from which he developed his thoughts on interpretive practice.

Keywords: Administrator; Comprehension ;Hermeneutics ; interpretation; Author.

الملخص:

جدد دلتاي مشروع الهرمينوطيقا العامة لشلايرماخر ووضعه في أفق التاريخية مؤكدا أن فهم النص لا يمكن أن يحصل إلا من خلال معايشة المؤول للتجربة الإبداعية الحية للمؤلف، إضافة إلى التأويل اللغوي أو النحوي للنص، بعد أن أعرب عن عدم رضاه عن الوضع العلمي الذي آلت إليه العلوم الإنسانية على يد التجريبيين محاولة منهم مواكبة التطور الشرس الذي شهدته العلوم الطبيعية، مؤكدا أن الهرمينوطيقا هي الخلاص الوحيد لهذه العلوم والمنهج المناسب لموضوعها. ولاستكمال هذا البحث تم الاعتماد على جملة من الإجراءات المنهجية بهدف توضيح مشكلة البحث والإلمام بجوانبها ومحاولة الإجابة عنها.

الكلمات المفتاحية: التأويل؛ الفهم؛ المؤلف؛ المؤول؛ الهرمينوطيقا.

مقدمة:

ارتبطت الهرمينوطيقا منذ أول عهدها بمشكلة تفسير وفهم النص ويظهر ذلك جليا في الحضارة اليونانية بوصفها طريقة في فهم وتفسير وترجمة النصوص الدينية والأساطير والشعر، إلا أن مصطلح الهرمينوطيقا كعلم بدأ في عصر النهضة في دائرة الدراسات اللاهوتية ليشير إلى جملة القواعد التي تهتم بفهم لغة النص المقدس وضبط أصوله وأحكامه بغية استخراج المعنى الحقيقي المقصود المضمر خلف المعاني الحرفية والمجازية التي وجدت في الكتاب المقدس، لذا وجهت كل الاهتمامات إلى مباحث الألفاظ والمعاني والبيان، إلا أن دلالة المصطلح اتسعت لتدخل دائرة البحث الفلسفي وتوجه اهتمامها إلى الشروط والمعايير التي تضمن الفهم المناسب لكل النصوص، فأحدث مفهوم الهرمينوطيقا مخاضا فكريا على الساحة الفكرية للثقافة الغربية ما نتج عنه العديد من المواقف المسجلة أهمها نظرية دلتاي،

عياط فايزة، كرد محمد
faiza.ayat@univ-mascara.dz
mohammed.kerd@univ-mascara.dz

إذ يعتبر هذا الأخير من أبرز منظري التأويل التاريخي، مركزا في ذلك على فكرة "الإنسان كائن تاريخي".من هنا نطرح الإشكال التالي: كيف يتم فهم أي نص بدقة من وجهة نظر دلتاي؟ وماذا تعني كلمة "تاريخي" في هذا المقام؟

ولتحليل الإشكالية التي طرحناها مسبقا تم اقتراح الفرضيتين التاليتين:

- رفض دلتاي محاولة الوضعيين في تطبيق المنهج التجريبي على العلوم الإنسانية، معلنا أن الهرمينوطيقا هي الأساس الذي ينبغي أن تبنى عليه العلوم الإنسانية.

- أكد دلتاي على تاريخية الوجود الإنساني وعلى ضرورة فهم الإنسان بوصفه موجودا تاريخيا.

سنقوم من خلال هذه الورقة البحثية بمناقشة مفهوم الهرمينوطيقا أولا ثم سنتطرق لنظرية دلتاي التأويلية وأخيرا سنذكر أهم الاستنتاجات. وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التحليلي الذي يقوم على التفتيت التقسيم بهدف توضيح مشكلة البحث والإلمام بجوانبها ومحاولة الإجابة عنها.

تعريف الهرمينوطيقا:

التعريف اللغوي:

نحت مصطلح الهرمينوطيقا hermeneutics من اشتقاقات لغوية إغريقية قديمة، إذ ينتمي معنى فعل (هيرمينويان hermineuein) في اللغة الإغريقية الى أسماء موصوفة أو نعوت من نفس العائلة اللغوية (هيرمينياherminia)و(هيرمينوسhermeneut)و(هيرمينوطيس hermeneuts)و(هيرمينوطيكوس hermineutik)ومن هذه الاشتقاقات اللغوية جاء لفظ هيرمينوطيقا hermineutique (المعاني، رائد، 2018).

عياط فايزة، كرد محمد
faiza.ayat@univ-mascara.dz
mohammed.kerd@univ-mascara.dz

الهرمينوطيقا في اليونانية من الفعل hermeneuein ومعناه(يفسر) وإن كانت استعمالاته كما يقول المتخصصون توحي بثلاثة اتجاهات لهذا المعنى: أولها هو تفسير الشعر شفويا ومن ثم يقترب معناه من التعبير to express، وثانيها هو الشرح to explain، وثالثا هو الترجمة to translate أي ترجمة الكلام فور التفوه به (عناني، 2003، صفحة 112). لذا نجد علم الهرمينوطيقا مرتبط بمباحث البيان والتأويل والتفسير.

ويشير مراد وهبة في معجمه الفلسفي إلى أن الهرمينوطيقا يرجع اشتقاقها الأصلي إلى لفظ hermes فيقول "اللفظ الإفرنجي له علاقة بهرمسhermes الذي هو رسول لدى اليونانيين، ولهذا كان عليه أن يفهم و يؤول أولا ما يريد الآلهة توصيله إلى البشر قبل أن يترجمه ويشرح مقاصد الآلهة نحو البشر (وهبة، 2007، صفحة 644). وهو على هذا الأساس يستخلص أن التأويل مرادف للهرمينوطيقا.

والعلاقة بين لفظ الهرمينوطيقا ولفظ هرمس واضحة جدا، فهرمس رسول آلهة اليونانيين وظيفته نقل كلام الآلهة إلى البشر، لذا عليه أن يفهم ويفسر بنفسه ما أرادت الآلهة قوله حتى تكون له القدرة على ترجمة كلامهم وشرح نيتهم ونقلها والتعبير عنها وتوضيحها للبشر. والهرمينوطيقا من هذه الجهة مرتبطة بهرمس، إذ هي علم يهتم بتحليل وبيان طرق توضيح معاني النص ومقاصد المؤلف وتحقيق الفهم للناس.

تتضمن كلمة hermeneutique بالإغريقية (herméneutiké) في اشتقاقها اللغوي tekné التي تحيل إلى الفن بمعنى الاستعمال التقني لآليات ووسائل لغوية ومنطقية وتصويرية ورمزية واستعارية. وبما أن الفن كآلية لا ينفك عن الغائية téléologie فإن الهدف الذي لأجله تجند هذه الوسائل والتقنيات هو الكشف عن حقيقة شيئ ما، وتنطبق جملة هذه الوسائل على النصوص في تحليلها و تفسيرها وإبراز القيم والحقائق

عياط فايزة، كرد محمد
faiza.ayat@univ-mascara.dz
mohammed.kerd@univ-mascara.dz

التي تختزنها والمعايير والغايات التي تحيل إليها (الزين، 2015، صفحة 31) والتأويل فن وعليه تعني الهرمينوطيقا فن تأويل وتفسير وترجمة النصوص.

تشير كلمة hermeios إلى كاهنة priest معبد دلفي، والكلمة وثيقة الصلة بكلمة هرمتيك hermétique التي تعني الغموض أو السحر أو ما يستعصي على الأفهام أو الخبئ الدفين (عناني، 2003، صفحة 114).

تجدر الإشارة إلى أن مصطلحhermeneutics لم يذكر في المعاجم والموسوعات العربية، إذ لا يكاد الباحث يجد مقابلا واحدا أو مصطلحا جامعا لما يدل عليه المفهوم في أصوله الغربية وعلى هذا الأساس قوبل المصطلح hermeneutics بلفظ التأويل، علم التأويل، نظرية التأويل، التفسير... وحتى مصطلح الهرمينوطيقا، إذ أن هناك من يفضل استخدام مصطلح هرمينوطيقا كمقابل للمصطلح الإنجليزي hermeneutic.

وتأسيسا على ما تم ذكره مسبقا فإن مصطلح الهرمينوطيقا hermeneutique بالفرنسية وhermeneutics بالإنجليزية يحمل عدة معان: التعريف، التفسير، الشرح، الترجمة، التأويل، التعبير. كما انه يقابل ترجمات عربية متعددة، وهو ما يترتب عنه حدوث تشويش دلالي، ويضع الباحثين في حيرة أمام معضلة وصف الحالة الدلالية للكلمة بسبب الالتباس والغموض الذي يكتنفها.

وعليه يمكن القول أن محاولة الوصول إلى مقاربة لغوية واحدة لمصطلح الهرمينوطيقا شبه مستحيل إن لم نقل أنه ضرب من الحلم، وتجدر الإشارة إلى أن تنوع وتعدد معاني وترجمات هذا المصطلح راجع إلى اختلاف الاتجاهات على مر التاريخ، والرؤية المعرفية والتضمينات الدلالية التي يأخذها عند كل باحث وهي نفس الأسباب التي تجعل إمكانية الوصول إلى تعريف اصطلاحي جامع مانع ودقيق

لمصطلح الهرمينوطيقا غير ممكن. لذا سنحاول أن نشير أهم الطفرات والتعريفات التي شهدها المصطلح.

التعريف الإصطلاحي:

ظهر مصطلح الهرمينوطيقا عند اليونانيين في العصر الكلاسيكي بوصفه طريقة في فهم وتفسير النصوص الدينية والأدبية والشعر الأساطير وخصوصا منها تأويل النص الهوميري (هوميروس) الذي يعتبره الباحثين والنقاد إنجيل اليونانيين بلا منازع.

إلا ان بداية الاستعمال الجدي لمصطلح الهرمينوطيقا كممارسة وعلم كانت عام 1654 ومازال مستمرا حتى اليوم في الأوساط البروتستانتية "أي يمكن القول أن النشأة الحقيقية للمفهوم كانت تحديدا في عصر النهضة الأوروبية، حيث الإصلاح الديني في القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلادي، وانتشار الفكر البروتستانتي الذي أدى إلى قطع علاقة المسيحيين بالكنيسة في روما، ومن ثم القضاء على مرجعية تلك الكنيسة في تفسير النصوص المقدسة، وبذلك شعر البروتستانت بالحاجة الملحة لوضع قواعد منهجية معينة لتفسير الكتاب المقدس (غيضان وآخرون، 2020، صفحة 173)، وكان هذا الاحتياج هو السبب الرئيسي لهذا الاتجاه في المعرفة، والذي يتكفل بمهمة القيام بطرح منهج ومنطق لتفسير الكتاب المقدس. فصدر اول كتيب يتضمن لفظ الهرمينوطيقا عام 1654 وعنوانه (تفسير المقدس، أو منهج شرح النصوص المقدسة) وعنوانه باللاتينية (her-munticasacrasive methodisexponen-darum) (طلبة، 2004، صفحة 133).

وهكذا يكون مفهوم الهرمينوطيقا قد تبلور في كنف المشكلات التي واجهت المجتمع المسيحي القديم،إذ كان لا بد للكهنة البروتستانت الذين قطعوا صلتهم تماما بكنيسة روما الكاثوليكية أن يجدوا لأنفسهم معايير وقواعد يتم اتباعها لتفسير وفهم النص الديني ومن ثم كنظرية

عياط فايزة، كرد محمد
faiza.ayat@univ-mascara.dz
mohammed.kerd@univ-mascara.dz

بديلة للنظرية الكاثوليكية القديمة التي اعتبرت قبلا كمرجعية منهجية لتفسير النص المقدس.

ثم تلا ذلك التأسيس الهرمينوطيقي العملي على يد شلايرماخر وشليجل كمحاولة لوضع منهج للتفسير وتبعهما كانط في محاولة وضع تأويلية نقدية، ثم جاءت محاولة دلتاي كمحاولة لتطبيق التأويل على العلوم الإنسانية، ثم كان التأويل في المنهج الفينومولوجي على يد هوسرل وهيدغر ومحاولات تفسير الوجود، ثم استكمل غدامير طريق هوسرل ثم توالت جهود نيتشه وفوكو وديريدا وهابرهاس وكارل أوتو آبل للوصول بها إلى معناها الحالي الذي يطلق على كل تأمل نظري وفلسفي يستهدف فهم النص وأسسه وفرضياته المسبقة (غيضان وآخرون، 2020، صفحة 97).

لقد مر مصطلح الهرمينوطيقا إذابطفرات متعددة: إذ ارتبط بتفسير النصوص الإغريقية القديمة ثم تفسير وتأويل النصوص الدينية المسيحية، ثم انتقل المصطلح من مجال اللاهوت واتسع في تطبيقاته إلى مجالات أخرى فأصبح يشمل العلوم الإنسانية كافة كالفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع، والإنتربولوجيا، والفن واللغة والنقد الأدبي والفقه والحقوق والقانون وحتى علم النفس، إذ أصبحت الطريقة المثلى التي يعتمدها التحليل النفسي لسبر أغوار اللاشعور، بل إنه فن تفسير وفهم الوجود.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن هناك محاولات إسلامية دائمة لاستعارتها وتطبيقها فكثر الحديث حول هذا الطرح الجديد للهرمينوطيقا في الفضاء العام الإسلامي... فصارت تبحث عن إمكان أو مشروعية القراءات المختلفة للدين أو النص الديني الإسلامي مع مراعاة تاريخية الفهم وتفسيره بزمانه، والتغيير المستمر والدائم لعملية الفهم على اعتبار أنها ترى أن كل فهم يتأطر بظروفه وخلفيات مفسره (غيضان وآخرون، 2020، صفحة 174).

كما تضع في الاعتبار تاريخية النص وتأثره بثقافة عصره وبالوعي التاريخي لمؤلفه والاهتمام بدور المفسر ومحورتيه في تفسير النص

بدلا من الاهتمام بالمؤلف والنص ومحورتيه وبالتأكيد على التفسير الدائم والجبري لوعي المفسر وخلفياته وظروفه ومعلوماته وميوله وأحكامه المسبقة في تفسير النص (غيضان وآخرون، 2020، صفحة 174).

تأسيسا على ما تم ذكره مسبقا إذا يمكن القول أن الهرمينوطيقا قد مرت بثلاث مراحل كبرى في تطويرها:

- تأثير الفلسفة الكلاسيكية الإغريقية والنظرية الأدبية الإغريقية
- انبعاث النظريات المسيحية واليهودية في تفسير الكتاب المقدس
- تأثير عصر التنوير الذي أدى إلى توسيع دائرة التفكير الهرمينوطيقية إلى أبعد من السياقات الدينية الرئيسية (جينروند، 2014، صفحة 65).

على الرغم أنه من الصعب في مثل هذه الدراسة الإلمام بكل التفاصيل إلا أننا حاولنا التطرق للخطوط العامة لتطور هذا العلم من أجل الإشارة إلى بعض التعريفات المهمة والمرتبطة بالنظريات المختلفة.

يعرف مصطفى حسيبة في معجمه الفلسفي الهرمينوطيقا فيقول: "التفسيرية أو الهرمينوتيكيةhermeneutics يستخدم مصطلح هرمينوتيكية في الدراسات الدينية للدلالة على دراسة وتفسير النصوص الدينية، والهرمينوتيكية هي المدرسة الفلسفية لتطور ودراسة نظريات التفسير interpretation ودراسة وفهم النصوصtexte(حسيبة، 2009، صفحة 144).

يقول لالاند في معجمه الفلسفي: "تأويل herméneutique تفسير نصوص فلسفية أو دينية، وبنحو خاص الكتاب(شرح المقدس) وتقال هذه الكلمة خصوصا على ما هو رمزي" (أندريه، 2008، صفحة 555).

وعليه فإن كلا التعريفين يربطان بين مصطلح الهرمينوطيقا ومعنى التفسير والتأويل وبشكل خاص تفسير النص الديني، بحكم أن هذا

عياط فايزة، كرد محمد
faiza.ayat@univ-mascara.dz
mohammed.kerd@univ-mascara.dz

الأخير حافل بالرموز والاستعارات والمعاني الحرفية والمجازية والتناقص الظاهري، لذا يعتبر هذا المجال بحاجة ملحة لاستعارة القواعد والمعايير الهرمينوطيقية التي تهتم بفك الغموض واللبس واستخلاص المعنى الباطني الكامن فيها بغرض شرح النص الديني وإزالة الشك والارتباك ومن ثم ترسيخ وتثبيت العقيدة. وعلى الرغم تركيز كلا التعريفين بشكل خاص ربط على مهمة الهرمينوطيقا بشرح وتفسير النص الديني إلا أن هناك إشارة منهما إلى أن هذه المهمة تتسع لتشمل النصوص الأخرى أي النصوص الدنيوية.

يعرفها سعيد علوش في معجمه الخاص بالمصطلحات الأدبية فيقول "أنها طريقة تأويل وتخريج، تدرس المبادئ المنهجية في التعامل مع النصوص وتفكيك رموزها وكشف أغوارها في التقليد القديم(...) أما الهرمينوطيقا حديثا نظرية تأويل رموز، لغة أدبية بوصفها كلا لعناصر ثقافية ما (علوش، 1985، صفحة 225).

وهو بذلك يميز بين مرحلتين للهرمينوطيقا: المرحلة الأولى تخص الهرمينوطيقا التقليدية والمرحلة الثانية هي الهرمينوطيقا الحديثة. فالأولى اهتمت بالبحث عن القواعد التي تحتاج إليها للكشف عن المراد المتكلم أما الثانية فهي علم منظم ومتناسق.

أما جون غروندينjean crondin فينطلق من المعنى السابق لمفهوم الهرمينوطيقا أي باعتبارها فن تأويل النصوص ليضيف إليه، وقد اتسع مجال استخدامه، حالات جديدة تنم عن نسبية في ضبط المفاهيم والمصطلحات إذ يذهب إلى القول: بأن لفظ الهرمينوطيقا يحمل معنى الترجمة والتفسير والتعبير وفي هذه الحالات الثلاث يحمل هذا الفعل الاتجاه إلى الفهم إدراكا ووضوحا (بارة، 2008، صفحة 101).

فتعدد الدلالات ونسبية ضبط المفاهيم والمصطلحات أظهرت الحاجة إلى الهرمينوطيقا فهذه الأخيرة لا تعنيها المصطلحات أحادية المعنى إنما مهمتها تفسير وشرح وحتى ترجمة المفاهيم متشابهة الدلالات ومتعددة المستويات بغية إزالة الغموض والتعقيد الذي يكتفها وإبراز المعنى المقصود من المصطلح في إطار الجملة او النص أو الحوار،

عياط فايزة، كرد محمد
faiza.ayat@univ-mascara.dz
mohammed.kerd@univ-mascara.dz

وعلى هذا الأساس اتسع مجال الهرمينوطيقا ليشمل كل النصوص حتى غير المكتوبة منها وفتح المجال لتأويلات متعددة فتطرح حقيقة النص حقائق ودلالات متنوعة بدل الدلالة الواحدة التي يبرزها ظاهر المصطلح أو النص.

وقد هذا السبب الرئيسي لتعرض الهرمينوطيقا لطفرات متعددة من خلال مرورها بمراحل كبرى تنوعت واختلفت فيها الاتجاهات على مر تاريخها والتي كان هدفها الأول تحقيق الفهم وقد رأت في الاستعانة بمهمة هذا العلم أو الفن الحل المناسب، إلا أن هذا التنوع في الرؤى والنظريات والاتجاهات أفرز إشكالية أخرى تمثلت في أن إمكانيه التوصل إلى تعريف جامع مانع لمصطلح الهرمينوطيقا أمر مستحيل.

المنهج التأويلي عند دلتاي:

يعد دلتاي من أبرز منظري التأويل التاريخي وقد عمل على الانتقال من الإبستمولوجيا إلى الأنطولوجيا بإلحاقه الإشكالية التفسيرية واللغة بإشكالية التاريخ فقد انطلق من حيث انتهى شلايرماخر محاولا أن يضع الأسس التاريخية للتأويل الصحيح، وكان همه الأساسي هو أن يمنح البحث التاريخي صفة علمية، وهذا لا يعني أنه قبل بالتجريبية على عواهنها، بل إنه وجد أنها غير ملائمة لتكون أساسا تبنى عليه الموضوعية في العلوم الإنسانية (المعاني، رائد، 2018، صفحة 168).

فقد رأى الوضعيين مثل أوجست كونت وجون ستوارت مل أن الخلاص الوحيد لتأخر العلوم الإنسانية عن العلوم الطبيعية يكمن في ضرورة تطبيق نفس المنهج التجريبي الذي تعتمده العلوم الطبيعية على العلوم الإنسانية، بغية جعلها فروعا علمية إمبريقية دقيقة، حقائقها شبيهة بحقائق العلوم الطبيعية واقعية علمية موضوعية، وقوانينها كلية ويقينية، بعيدا عن الميتافيزيقا والذاتية، فالحل الوحيد لمشكلتها هو إخضاعها للنفس الشروط العلمية والمعايير المنهجية المفروضة على العلوم التجريبية التي حققت من النتائج مالم يكن يحلم به إنسان.

عياط فايزة، كرد محمد
faiza.ayat@univ-mascara.dz
mohammed.kerd@univ-mascara.dz

وهذا ما عبر عنه جون ستوارت مل بقوله "إذا كان علينا أن نهرب من الفشل المحتم للعلوم الاجتماعية بمقارنتها التقدم المستمر للعلوم الطبيعية، فإن أملنا الوحيد يتمثل في تعميم المناهج التي أثبتت نجاحها في العلوم الطبيعية لجعلها مناسبة للاستخدام في العلوم الاجتماعية" (نصر حامد، 2014، صفحة 24).

إلا أن دلتاي رفض محاولة الوضعيين هذه والمتمثلة في التوحيد بين العلوم التاريخية والإنسانية (علوم الروح، علوم الفكر) والعلوم الطبيعية من حيث المنهج، مؤكدا أن الاختلاف الجوهري القائم بين هذين المجالين لا يسمح بتطبيق نفس المنهج عليهما، موضحا ذلك من خلال عرضه للفروقات الشاسعة بينهما.

إن الفارق بين العلوم الإنسانية والطبيعية يكمن عنده في أن مادة الأولى -وهي العقول البشرية- (مادة معطاة) وليست مشتقة من أي شيء خارجها مثل مادة العلوم الطبيعية التي هي مشتقة من الطبيعة. إن على العالم الاجتماعي أن يجد مفتاح العّالّم الاجتماعي في نفسه وليس خارجها. إن العلوم الطبيعية تبحث في غايات مجردة بينما تبحث العلوم الاجتماعية عن فهم آني من خلال النظر في مادتها الخام (بارة، 2008، صفحة 188).

فضلا عن ذلك فقد أشار دلتاي أن العالم الطبيعي يحتاج عمله إلى "الشرح أو التفسير" في حين أن العالم الاجتماعي أو المؤرخ يحتاج في عمله إلى "الفهم أو التأويل". وعلى هذا الأساس وضع دلتاي تفرقة بين التفسير والتأويل أو الفهم، مؤكدا أن الأول هو المنهج الملائم لموضوع العلوم الطبيعة وأن الثاني هو المنهج المناسب لموضوع العلوم الإنسانية.

إلا أن الفرق الذي قدمه دلتاي بين الفهم والتفسير لم يمنعه من الإقرار بأن الفهم الموافق للتأويل يمثل على نحو ما تفسيرا حيث يقول: إن المناهج التأويلية تشكل مع النقد الأدبي والفيلولوجي والتاريخي كلا يؤدي إلى تفسير الظواهر المتفردة، بين التأويل والتفسير ليس هناك حد صارم، بل مجرد تباين تدريجي، ففي حين يمثل الفهم مهمة لا

عياط فايزة، كرد محمد
faiza.ayat@univ-mascara.dz
mohammed.kerd@univ-mascara.dz

حصر لها. يحدد التفسير دائما انطلاقا من فهم أو من مستوى معين من الفهم، لذلك ليس هناك تنافر أساسي بين العلوم الوضعية والعلوم الإنسانية بمقدار ما أن الفهم يتمتع بالامتياز بالنسبة للتفسير (قارة، 1998، صفحة 50).

فدلتاي يرى أن الهرمينوطيقا هي المنهج الوحيد الملائم وعلم أساس ينبغي أن تبنى عليه العلوم الإنسانية، فموضوعها يتطلب الفهم أكثر من المعرفة والتفسير، وعليه أصبح شغله الشاغل هو صياغة الأسس الصحيحة للهرمينوطيقا حتى تصبح منهجا عاما لعلوم الروح بغية منح هذه الأخيرة صفة علمية وإكسابها مصداقية، وعلى الرغم من أن شلايرماخر كان سباقا في التفكير حول هذا الأساس المنهجي إلا أن دلتاي يعتبر صاحب محاولة ربط الهرمينوطيقا بالقضية الإيستمولوجية للعلوم الإنسانية التاريخية والتي حاول من خلالها رد الاعتبار لهذه العلوم في مقابل صعود العلوم الطبيعية الشرس.

إن هاجس التأسيس الفلسفي لعلوم الروح عند دلتاي جعله يستثمر نتائج البحث الإبستمولوجي التي خصصها كل من رانك ranke ودرويزن droysen لنقد المثالية الألمانية وقد كان على وعي تام بضرورة تجديد المدرسة التاريخية التي تراجع دورها وبدت غير قادرة بأدواتها الإجرائية على مواكبة الثورة المنهجية التي فجرتها فلسفة العلوم واستثمرتها العلوم الصحيحة، من هنا ألقى دلتاي على عاتقه مهمة تشييد أساس إبستمولوجي جديد وأكثر حيوية يجمع بين التجربة التاريخية والإرث المثالي للمدرسة التاريخية، وهذا هو فحوى قصده من وراء استكمال كتاب كانط (نقد العقل المحض) بتأسيس مشروعه(نقد العقل التاريخي) (بارة، 2008، صفحة 187).

فمدار الأمر وفق التصور الدلتي، أن العقل التاريخي بحاجة إلى وسائل تبرير عملية للمعرفة التاريخية بالطريقة نفسها التي هي للعقل المحض، فهذا الأخير لم يكن ليلفت الأنظار ويحظى بهذا الاهتمام لو لم يقم بتقويض الميتافيزيقا كمعرفة عقلية للعالم والروح والإله، بل ولما قدمه أيضا من برهنة على وجود مجال داخل العقل يعطي

faiza.ayat@univ-mascara.dz
mohammed.kerd@univ-mascara.dz

الشرعية لاستخدام المفاهيم الماقبلية ويجعل المعرفة ممكنة (بارة، 2008، صفحة 187).

هذا إلى جانب تأثره بالمنهج النقدي التأويلي لشلايرماخر خصوصا فكرة التأويل السيكولوجي الذي يظهر جليا في فلسفته. فضلا عن تأثره بفلسفة هيغل ويتبدى ذلك في تقديمه دراسة تاريخية لشروط فهم الفعل الإنساني.

وعلى أساس هذه الروافد التي أثرت في دراسة دلتاي للهرمينوطيقا كانت الانطلاقة محاولا في الوقت نفسه تجاوزهم، ومن هنا كانت الأهمية التي منحها دلتاي للمظهر الموضوعي والتاريخي لما يعرف بـ (الطبيعة الإنسانية)، "إذ لا يفتأ أن يؤكد من خلال هذا المعنى على تاريخية الوجود الإنساني وعلى ضرورة فهم الإنسان بوصفه موجودا تاريخيا في جوهره يتألف وجوده من سلسلة متصلة الحلقات تحتوي على ماض وحاضر ومستقبل وتقع في علاقة مع الآخرين" (قارة، 1998، صفحة 51). فالتاريخ في تصور دلتاي ليس شيئا ماضيا يقف بإزائنا بصفته موضوعا، ولا التاريخية عنده تشير إلى الحقيقة الواضحة موضوعيا. إن حاصل الأمر أن الحياة بوصفها تجربة الإنسان في التاريخ تغدو الأساس الفلسفي في المنظومة الدالتية.

وعليه أكد دلتاي أن موضوع العلوم الإنسانية هو الحياة الإنسانية أي تهتم بفهم تعبيرات الحياة الداخلية للإنسان: إيماءات أفعال، قوانين، فن، أدب... إلخ، وفهم الإنسان يتطلب استعادة الوعي بتاريخية وجودنا الخاص والإمساك بمجموع الظاهرة الإنسانية وفهم الحياة من الحياة ذاتها، وفهم الحياة الباطنية للإنسان. ومقولات كانط غير كافية لفهم الحياة الباطنية للإنسان، فدينامية الحياة الداخلية للإنسان مركبة من المعرفة والشعور والإرادة، والإتيان بمقولات كانط هو إقحام لمقولات من خارج الحياة فتكون بذلك متسمة بالسكونية، إنها نقيض الحياة.

وعليه يقول دلتاي: "إنها مسألة تطوير الاتجاه الكانطي النقدي كله في مقولة (التأويل الذاتي) بدلا من نظرية المعرفة... إنه نقد للعقل التاريخي بدلا من نقد العقل الخالص" (مصطفى، 2007، صفحة 120).

إن فهم الحياة ينطلق أساسا من الحياة ذاتها والعودة إلى الحياة لا تعني هنا العودة إلى أرضية صوفية أو مصدر سري لكل حياة إنسانية وغير إنسانية، بل يرى الحياة من حيث المعنى، أي الرجوع إلى الخبرة الإنسانية إذ تعرف من الداخل، وعليه فإن العلوم الروحية تستمد مقولاتها من الخبرة المعاشة، من المعنى وليس من القوة التي تقوّم التاريخ وليس على الرياضيات (بوزيد، 2008، الصفحات 95-96).

وهنا يمكننا أن نرى تأثير هيجل على دلتاي.

لقد أفصح هيجل عن نيته من قبل في أن يفهم الحياة من الحياة ذاتها، وذهب إلى أن الحياة هي واقع تاريخي، غير أن التاريخ عنده ليس غايته مطلقة أو تجليا لروح المطلق، بل هو تعبير عن الحياة، فالحياة نسبية وهي التي تعبر عن نفسها في أشكال عديدة، والحياة في الخبرة البشرية ليست مطلقا بأي معنى من المعاني، وقد حاول دلتاي أن يضع هذا المقصد في سياق غير ميتافيزيقي(مضاد للميتافيزيقا)، سياق ليس بالواقعي ولا بالمثالي بل سياق فينومولوجي (مصطفى، 2007، صفحة 122).

وعليه فإن مهمة الهرمينوطيقا لا تنحصر في إعادة بناء النص بعيدا عن ظروف التجربة الإبداعية التي صحبته ولا باستحضار تجربة الحياة بمفهومها البسيط، وإنما بإعادة إنتاج الحدث الأصلي الذي تم إنتاج الأثر فيه، عند ذلك لم يعد بالإمكان فهم الأثر بشكل كاف على أنه تعويض لتجربة غريبة من خلال تجربة ذاتية، ما يعاد تحقيقه ليس حالة نفسية وإنما إيجاد إنتاج ما، أي يجب على المفسر بتعبير ثابت أن يرجع بصورة دائمة إلى المبدع المقوّم، الفاعل، المعبر عن نفسه، المموضع ذاته (بارة، 2008، صفحة 191).

ولا يمكن أن يتحقق الفهم إلا بدءا من تجربة الذات الخاصة أي انطلاقا من تأويل الذات وصولا إلى الأخرين، "فما أمثله أنا في نظري لا يمكن تحقيقه بعيدا عن تموضعات حياتي الخاصة، فمعرفة الذات هي قبل كل شيء تأويل لا يقل صعوبة عن تأويل الأخرين، بل ربما أصعبها لأنني لا أفهم نفسي إلا عبر العلامات التي أقدمها عن حياتي

عياط فايزة، كرد محمد
faiza.ayat@univ-mascara.dz
mohammed.kerd@univ-mascara.dz

الخاصة، والتي يرسلها إلي الآخرون، ومن ثم فالفهم يقوم على التجربة، والتجربة تتأسس على الفهم، فالإنسان يتعلم ويكتسب خبرة من أفعاله، والتي بها يحصل له فهم الآخر، وذلك عبر ممارسة التعبير على الآخر" (بارة، 2008، صفحة 190).

إنها عملية اكتشاف الأنا في الأنت، وتعني هذه العبارة العملية الأساسية التي بناءا عليها تتوقف كل معرفتنا للذوات الأخرى، هي اسقاط حياتنا الباطنية الخاصة بناءا على الموضوعات من حولنا أو بمعنى آخر لكي تفهم شخصا آخر ليس معناه أن نعرف أنه يملك تجربة معنية فحسب ولكن أن نشعر بانعكاس هذه التجربة فينا، أو أن نعيد تأليفها بصورة خيالية، أو أن نعيد تأليف معايشتها Re-live" ، (المعاني، رائد، 2018، صفحة 181) فالصورة العليا للفهم يمثلها مبدأ التعاطف أو التعايش.

يتحدث دلتاي عن نقل transposition حياتنا الخاصة بنا إلى الموضوع ويرى أنه لا يكفي أن ننقل خبرات معزولة، نقل شعور أو رغبة إلى شخص أخر، فإذا أردنا أن نرى شخصا وأن نفهم حياته العقلية في اتصالها وتماسكها يجب علينا أن نتعقب في تجربته خطوط الارتباط التي نكون معتادين عليها في تجاربنا أو بعبارة أخرى إذا أردنا أن نفهم حياته العقلية، يجب علينا أن ندرك هذا الشخص بوصفه يملك حياة داخلية تشبه حياتنا، وبالتالي نعيد اكتشاف ذاتنا بداخله (المعاني، رائد، 2018، صفحة 181).

إلا أنه في المقابل هناك إشكالية تطرح نفسها هي إشكالية الاختلاف الاجتماعي والتاريخي بين الذوات، فهل يمكن أن يحدث التعايش أو التعاطف في ظل هذا الاختلاف ليرتكز دلتاي في عملية الفهم إلى الآتي:

1-"إن كل ما يخلقه الفكر قابل في نظره للفهم ويبدو مألوفا بالنسبة إلينا.

2-ولأننا نشارك كلنا في سيرورة الحياة نفسها، فنحن قادرون على فهم تعبيرات الحياة المختلفة مهما كانت هذه التعبيرات ومهما كان مصدرها" (شرفي، 2007، صفحة 34).

وعليه يمكننا القول من كل ما تم ذكره مسبقا أن الأثر الإبداعي سواء كان كلاما أو إشارات أو نصا أو فعلا هو وسيلة جسد من خلالها المبدع رؤيته للوجود الذي يحيا فيه، وهو بذلك يعكس حقيقة واحدة هي الحياة الباطنية للمبدع، وعليه فإن محاولة التوصل لفهم أفضل لهذا الأثر الإبداعي يستلزم إعادة معايشة وبناء التجربة الباطنية كما عاشها المؤلف وعانى من وقع تأثيرها بدءا من الولوج إلى باطن أنفسنا فعملية الفهم لا تحصل إلا من خلال الحوار بين الذات المؤولة والذات المبدعة بغية تحقيق التطابق مع المؤلف، ذلك أن تعبيرات وأفعال وانفعالات وتجارب المؤلف موجودة فينا بالقوة وعن طريق إعادة معايشتها تصبح قابلة للفهم، وهذه المعايشة تتطلب فعلا تخيليا وتبقى هذه التجربة ذاتية إلى غاية انعكاسها في التعبير فهذا الأخير هو ما يمنحها الطابع الموضوعي.

هذا التحديد الموضوعي للتجربة هو ما يؤسس -عنده- موضوعية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، ويتباعد بها عن الذاتية التي يتهمها بها الوضعيون، وهذا التعبير لا يعبر بالضرورة عن ذات المبدع بقدر ما يعبر عن تجربة الحياة في تجربة المبدع.إن المبدع حالة تخلقها في تعبير موضوعي تتجاوز إطار ذاتيتها، وذلك لأنها تتجسد من خلال آداة موضوعية هي اللغة في حالة التعبير الأدبي، وهي من ثم تعبر عن تجربة الحياة.

إن فهم الأخرين هذا -على الرغم من طابعه الفردي- إلا أنه ينتمي إلى مجال مشترك...فدلتاي يقول بوجود نوع من التطابق والتماثل الجوهري بين الذوات ويرى أن الفهم يتأسس ضمن المجتمع الذي يربط بين الذي يعبر وذلك الذي يفهم، فالجملة تكون مفهومة لأن اللغة ومعها الكلمات بالإضافة إلى معزى الترتيبات النحوية يكون مشتركا

عياط فايزة، كرد محمد
faiza.ayat@univ-mascara.dz
mohammed.kerd@univ-mascara.dz

بالنسبة للمجتمع، إنما مقولة الفهم الممكن داخل المجتمع الواحد (نصر حامد، 2014، صفحة 26).

وعليه فإن الفهم لا يعني إعادة بناء النص من حيث دلالته النصية- فهذه الأخيرة ماهي إلا مؤشرات تحمل معنى واحد وحقيقة داخلية أو باطنية خاصة بالمؤلف - بل إعادة معايشة تجربة الحياة بمفهومها العام والمشترك وهذا التتبع لحياة النفس وما يحيط بها من تجارب في الحياة يذكرنا بسلفه شلايرماخر إلا أن محاولة دلتاي في جعل الذات القطب الأهم في حدوث الفهم جعل العملية الهرمينوطيقية تعرف توسعا جديدا على يده.

أكد دلتاي أن عمليات الفهم تحدث في إطار مبدأ الدائرة التأويلية الذي صرح به أست وشلايرماخر من قبل ومفاده أن الكل يأخذ دلالته ومعناه من الأجزاء، والأجزاء في الوقت نفسه لا يمكن فهمها إلا بالإحالة إلى الكل أي فهم كل منها في دائرة لاتنتهي (مصطفى، 2007، صفحة 146).

إلا أن دلتاي لا يقف عند هذا الحد وإنما يتسع ليشمل تجربة الحياة نفسها. إن تجربة ما جزئية في حياتنا تكتسب معناها من خلال تجاربنا الكلية، وليست تجاربنا الكلية في حقيقتها إلا حصاد تجارب جزئية متراكمة، ولكن الجزء يؤثر في الكل ويغير من معنى التجربة الكلية، بنفس القدر الذي يؤثر فيه المعنى الكلي في فهمنا لتجربة جزئية، ومادام دلتاي قد وحد بين النص وتجربة الحياة، فمن المنطقي أن يؤمن بتغيير المعنى مع تغيير أفق تجربة المفسر باعتباره نقطة البداية للفهم، سواء في الأدب أو التاريخ (نصر حامد، 2014، صفحة 29).

إن الذي لا شك فيه أن دلتاي بتركيزه في النص على التجربة الحية المعاشة وبمفهومه للتاريخ لعملية الفهم، قد أرسى الأسس لتفكير هيدغر وغدامير في زمانية الفهم الذاتي وقد كان مؤثرا فيهم بشكل كبير، لذ يسمى أغلب الباحثين والنقاد دلتاي أب الإشكالية التأويلية المعاصرة.

عياط فايزة، كرد محمد
faiza.ayat@univ-mascara.dz
mohammed.kerd@univ-mascara.dz

الخاتمة:

رفض دلتاي محاولة الوضعيين المتمثلة في تطبيق المنهج التجريبي على العلوم الإنسانية لمواكبة التطورالحاصل في العلوم الطبيعية، مؤكدا أنه لا يصلح لفهم الطبيعة الإنسانية، والهرمينوطيقا هي الخلاص الوحيد لهذه العلوم والمنهج المناسب لموضوعها. فوضع الأسس التاريخية للتأويل الصحيح بعدما أفاد من جهود شلايرماخر وطورها وخطى بها خطوات إلى الأمام.

أكد دلتاي على ضرورة استعادة الوعي بتاريخية الوجود الإنساني، وفهم الظاهرة الإنسانية من الحياة ذاتها وفهم الحياة الباطنية للإنسان، فالتاريخية عنده لا تعني الحقيقة الماضية الموضوعية، بل هي الحياة بوصفها تجربة الإنسان في التاريخ والتي تغدو الأساس الفلسفي في المنظومة الدالتية. ودلتاي بمفهومه للتاريخ ولعملية الفهم أثر بشكل كبير على النظرية التأويلية اللاحقة خصوصا عند هيدغر وغدامير.

المراجع:

أبو زيد نصر حامد،(2014). **إشكاليات القراءة وآليات التفسير**،ط1. المغرب: المركز الثقافي العربي.

أندريه لالاند.(2008). **موسوعة لالاند الفلسفية معجم المصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية**، ط1. بيروت: عويدات للطباعة والنشر.

بومدين بوزيد،(2008). **الفهم والنص دراسة في المنهج التأويلي عند شلايرماخر ودلتاي**، ط1. الجزائر: منشورات الإختلاف.

سعيد علوش، (1985). **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، ط1. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

مصطفى عادل، (2007). **فهم الفهم مدخل إلى الهرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى غدامير**، ط1. لقاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

عياط فايزة، كرد محمد
faiza.ayat@univ-mascara.dz
mohammed.kerd@univ-mascara.dz

بارة عبد الغني،(2008). **الهرمينوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقل تأويلي،** ط1. الجزائر: منشورات الإختلاف.

شرفي عبد الكريم، (2007). **من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة،**ط1. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

غيضان السيد علي وآخرون، (2020). **اللاهوت المعاصر دراسة نقدية،** ط1. العراق: العتبة العباسية المقدسة.

شوقي الزين محمد، (2015). **تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر،** ط1. بيروت: منشورات ضفاف.

عناني محمد،(2003). **المصطلحات الأدبية الحديثة،**ط3. لونجمان: الشركة المصرية العالمية للنشر.

وهبة مراد، (2007). **المعجم الفلسفي،** ط1. القاهرة: دار قباء الحديثة.

مصطفى حسيبة، (2009). **المعجم الفلسفي،** ط1. الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.

المعاني مصطفى كمال، رائد عبد الجليل، (2018). **الهرمينوطيقا الغربية،** ط1. الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.

قارة نبيهة، (1998). **الفلسفة والتأويل،** ط1. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

المقالات:

أبو زيد نصر حامد، (1981). "الهرمينوطيقا ومعضلة التفسير". **مجلة فصول،** *الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الأول، العدد03*،(141-160).

ويرنرج جينروند، (2014). "تطور الهرمينوطيقا اللاهوتية". **مجلة قضايا إسلامية معاصرة،** مركز دراسات فلسفة الدين، المجلد الثامن عشر، العدد59-60، (64- 107).

عياط فايزة، كرد محمد
faiza.ayat@univ-mascara.dz
mohammed.kerd@univ-mascara.dz

منى طلبة، (2004). "الهرمينوطيقا: المصطلح والتاريخ". **مجلة أوراق فلسفية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد العاشر، (43-77).

للإحالة على هذا المقال:
- عياط فايزة، كرد محمد،2024، المنهج التأويلي عند فيلهلم دلتاي. **المواقف**، المجلد: 20، العدد: 01 ، سبتمبر 2024، ص. ص.28- 47

عياط فايزة، كرد محمد
faiza.ayat@univ-mascara.dz
mohammed.kerd@univ-mascara.dz